

عدواً قوياً قد هزم وإن تحت أقدامكم مملكة عظيمة ، فهل تترك كل ما كسبنا بمد أن بلغنا للغاية التي سعينا إليها ونفر إلى كابل كأننا جيش مهزوم مطارد ؟ من كان يزعم أنه سديقي فليقلع عن هذه الوسوس . ومن لم يستطع أن يقسر نفسه على البقاء فليذهب . وخجل الجيش فلم يجر أحد منهم جواباً

وجاهد بابر تهدئة البلاد بالرغبة والرغبة ، ولم يكن له بد من لقاء عدو هو أكبر الأعداء في الهند . ذلكم رأنا سائجا زعيم الأسماء في رجبوت ، قد جمع مائة وعشرين ألفاً وثمانين ألف حصان وخمسة فيل ، وأيده أسماء آخرون وجاءته الجيوش من أرجاء مختلفة

وخرج إليه بابر سنة ٩٣٤ هـ ( ١١ فبراير سنة ١٥٢٧ ) بمد سنتين من موقعة بانديبات وهي أول مرة يتقدم فيها لحرب عدو من غير المسلمين . وعسكر بابر عند سكري التي سميت فيما بعد فتح بور ، وبني فيها جلال الدين الأكبر قصوراً عظيمة وظل خمسة وعشرين يوماً يحصن معسكره وينشر السكينة في قلوب قومه وقد ملكهم الرعب مما سمعوا ورأوا من شجاعة الرجوتيين . في هذه الشدة هجر بابر الخمر وكسر أقداحها وأران دنائها ثم جمع جنده نخطب فيهم : « أيها الأسماء والجنود ، لا بد لنا من ينجي . لهذا العالم أن يفارقه ؛ وإنما البقاء لله الذي لا يتغير . وكل من جلس على مائدة الحياة شارب كأس الموت لا محالة ، وكل من طرق نزل الفناء هذا فهو لا بد راحل يوماً عن دار الحزن . أولى بنا أن نموت أحراراً من أن نعيش أذلاء

« إن من فضل الله علينا أن ضمن لنا إحدى الحسينين ، فإن متنا متنا شهداء ، وإذا ظفرنا ظفرنا في سبيله . هلمو تقسم جميعاً بالله العظيم ألا نفر من هذا الموت وألا نهرب مآزق الحرب حتى تفارق أرواحنا أجسادنا »

فأقسموا جميعاً على القرآن . وتقدم بابر في جموعه وعبأ جيشه كما فعل في بانديبات من قبل ، ثم ركض جواده بين الصفوف يحض للناس على القتال والصبر ويملمهم ما يجب عليهم حين تنشب المعركة

والتقى الجمعان في كنها ( ١٦ مارس سنة ١٥٢٧ ) واحتدم القتال واشتدت حملات الرجوتيين واستمر الجلال وجهاً لوجه ساعات كثيرة . ثم أرسل بابر سرايا المنول لتفاجأة العدو من الخلف

## بابر

للدكتور عبد الوهاب عزام

[ بقية ما نشر في العدد الماضي ]



محمد ظهير الدين بابر  
مؤسس الدولة المغولية في الهند

- ١ -

لم تخضع الهند لباير بمد موقعة بانديبات فقد بقي أخو للسلطان إبراهيم مطالباً بالملك والبلاد كارهة غارة بابر ، وكثير من المدن والقلاع متأهبة للدفاع ، وكادت جيوش بابر تمك جوعاً على كثرة ما بأيديها من الفنائم ، وزاد حالتهم سوءاً شدة الحر . تقرأ في بابرنامه هذه السطور : « لما جئت إلى الكركان وقت الحر وكان للناس قد فروا من الخوف فلم نجد حياً لنا ولا علفاً لدوابنا ، وكانت القرى قد نهبت إعتاناً لنا وكراهية فينا ، وأفسدت الطرق... إلى أن يقول : « وكان الحر هذه السنة أشد من المتاد ، وكثير من الناس سقطوا كأنهم أصيبوا بالسموم وماتوا في مواضعهم » شرعت جيوش بابر تقصد كما تدمرت جيوش الاسكندر حينما فتح الهند من قبل ، وهما بالرجوع إلى كابل وقد ذكروهم هذا الحر هواءها البارد ؛ فجمعهم بابر وذكروهم أنهم تحملوا ما تحملوا وقاسوا ما قاسوا من أجل هذه للغاية التي بلغوها اليوم : « إن

الوالدية بعين الله المعروف باسم خواجه احراء من كبار الصوفية ،  
وتسرفنا بابر نامه الأحوال التي نظمت فيها هذه الرسالة . وأما  
أثبت هنا ترجمة هذه للنبذة من الكتاب لتكون مثلاً من أسلوبه  
في تسجيل الحوادث وتفصيلها :

« يوم الجمعة ٢٣ من هذا الشهر ( سفر ) ، أحسست الحمى  
في جسدي ، حتى لم أستطع أن أؤدي للصلاة في المسجد إلا بمشقة ؛  
ولم أستطع أن أصلي الظهر في خزانة كتيبي إلا بعد تأخير ، ومع  
جهد كبير . وفي اليوم الثالث ، يوم الأحد ، خفت الرعدة قليلاً .  
ويوم الثلاثاء ٢٧ صفر ، خطر لي أن أترجم نظمي الرسالة الوالدية  
مولانا عبيدالله . للتجأت إلى روح الشيخ وذلت لنفسي : إن قبلت  
هذه القرية عند الشيخ كان إبلاي من هذا المرض آية القبول  
كما خلص صاحب البردة من مرضه .

« نظمت هذه الليلة ١٣ بيتاً ، وشرطت على نفسي ألا أنظم أقل  
من عشرة أبيات كل يوم ، وقد وفيت بهذا للشرط إلا يوماً واحداً  
« كانت الحمى في السنة الماضية كلها انتابتي دامت ثلاثين  
أو أربعين يوماً ، ولكن بفضل الله وبركة الشيخ أبليت من هذه  
للنوبة يوم الثلاثاء ٢٩ من الشهر .

« وفي يوم السبت ٨ ربيع الأول أكلت نظم الرسالة . وقد  
نظمت يوماً اثنين وخمسين بيتاً »  
كتب في نهاية الديوان هذه المباركة « حرره بابر دوشنبه  
١٥ ربيع الآخر سنة ٩٣٥ هـ . وفي ذيل للصفحة الأخيرة رباعية  
وفي حاشيتها هذه الجملة « هذه الرباعية التركية ، والاسم المبارك  
بالتحقيق خط أعلحضرت ساكن الجنان بابر بادشاه الغازی  
أنا الله برهانه . حرره شاه جهان بن جها نكير بادشاه بن أكبر  
بادشاه بن همايون بادشاه بن بابر بادشاه »

وأما كتابه بابر نامه فهو في موضوعه نادرة من نوادر التاريخ ؛  
فما عرفنا قبل بابر ملكاً أمضى حياته في عراك الحوادث ثم استطاع  
أن يصف مشاعره ، ويسجل وقائع سيرته ، وسيرة أقاربه وأعوانه  
في بيان واضح مفصل بعيد من التكاثر يتجلى فيه اهتمام الكاتب  
بما يرى ويسمع ودقته في الإدراك والوصف

وهو في لفته وأسلوبه ذخيرة أدبية تسجل لنا لغة جفتاي  
في القرن العاشر الهجري وتبين محاولة ملك عظيم أن يذلل هذه  
اللغة للنثر الأدبي كما ذلنا للشعر منذ سنين قليلة الوزير الكبير

وانتهى الأمر بهزيمة عدوه بعد أن استمات في القتال نازكاً آلائف  
القتلى في المعترك . وفر سنجاً منخناً بالجراح ومات بعد قليل ،  
ثم لم يمرض أحد من ذريته من بعد لحرب أحد من سلالة بابر  
بهاتين الوقتين في بانيبات وكنوها حطم بابر أعظم القوى  
المخالفة في الهند . ثم استطاع أن يقضى على مخالفيه واحداً بعد  
الأخر في مواقع كثيرة آخرها موقعة هزم فيها المقاومين من  
سد مملكة دهلي وحلفاءهم من جيوش بنغاله بعد سنين من  
موقعة كنوها

عاش بابر بعد هذه الموقعة الأخيرة سنة ونصف سنة أمضى  
معظمها في أكررا مجتهداً في تنظيم مملكته الجديدة

— ٢ —

كان محمد ظهير الدين بابر سوي الخلق محكم البنية قوياً فارساً  
ماهرأ رامياً حاذقاً حمل رجلين تحت ذراعه وجرى بهما على سور  
إحدى الفلاع . ويقول في بابر نامه : « اجتزت نهر الكنك سباحة  
وعددت ضربات ذراعي فوجدتني قد اجتزت النهر بثلاث وثلاثين  
ضربة ، ثم أخذت نفسي وسبحت إلى العدو الأخرى »  
وكان جلدأ على ركوب الخيل . وكثيراً ما قطع ثمانين ميلاً  
في اليوم . وقد أمضى معظم حياته في الأسفار والحروب  
ولكن نوبات الحمى وكثرة تطوافه وتقلب الغير بها دهرأ ،  
والشدائد التي قاساها ، والخمر التي لم يسلم منها أحد من بني تيمور ، ثم  
الآفيون - كل هذا أنقض ظهره وناء بجسمه القوي . فما هو ذا على  
فراش الموت في قصره الجميل وحديقته في مدينة أكررا  
مات بابر سنة ٩٣٧ هـ في سن التاسعة والأربعين ( ٢٦ ديسمبر  
سنة ١٥٣٠ م ) بعد سبع وثلاثين سنة من تملكه في فرغانة

— ٣ —

وكان بابر كسائر بني تيمور مولماً بالآداب والفنون ، يقرأ  
الشعر وينظمه ، ويمجج بالأبنية الجميلة ، ويهتم بتنسيق الحدائق  
وغرس الأزهار ، ويكاف بالفناء والموسيقى .

ومع نراه في « بابر نامه » يقزع إلى نظم الشعر في أشد  
أوقات محنه ، كما نراه يتحدث عن الأدباء الذين اجتمعوا في هراة  
حول السلطان حسين ووزيره العظيم مير علي شير موانى حديث  
عارف ناقد . وله ديوان صنير بالتركية تتخلله قطع فارسية .

وفي هذا الديوان منظومة في نحو ٢٥٠ بيتاً وهي نظم الرسالة